الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Université Abou Bekr Belkaid
Tlemcen Algérie
جامعة أبي بكر بلقايد
تلمسان الجزائر

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم علم النفس

مادة العمليات المعرفية في المواقف التربوية
السنة أولى ماستر تخصص علم النفس التربوي
السداسي الأول

د. حاجب سلسبيل

المحاضرة الثالثة

تكون المفاهيم

تمهيد

تحظى المفاهيم بمكانة هامة في ميدان علم النفس المعرفي نظرا للدور الكبير الذي تؤديه في عملية الاكتساب والتعلم، فقد ظهر الاهتمام بها تحت مسميات عديدة منها "المدرك" و"التجريد والتعميم" و"التغيرات المتوسطة" أو "التكوينات المتوسطة" وغيرها. يُعَدُّ كلارك هل Hull أول من تحدث عن المفاهيم عندما أشار إلى "المدركات الكلية" في موضوع الدكتوراه التي حصل عليها سنة 1920، لكن هذا لم يحظى بالاهتمام من قِبَل السلوكية إلاّ بعد أن مضت عشر سنوات، أي في سنة 1930، فكانت هذه السنة نقطة تحول لكلارك هل Hull بتأسيسه السلوكية الجديدة.

1- المفاهيم

تساهم المفاهيم بشكل كبير جدا في كيفية إدراك معطيات البيئة الخارجية (أشياء، أشخاص، أفكار) وتنظيمها. فهي تشكل قوانين منظمة للإدراك ومحددة له وتعطي معنى للعملية التعليمية إلى جانب الصور الذهنية التي يكونها الفرد حول ما يدور حوله في العالم الخارجي، بذلك فهي تساعد على تبسيط العالم الواقعي لتحقق الكفاءة في التواصل والتفاهم وتنظيم خبرات الفرد بشكل يسهل عملية استدعائها واستخدامها والتواصل معها.

تتجلى أهمية إدراك المفاهيم بالنسبة للطفل في المدرسة في كونها تسهل عملية الفهم والاكتساب إضافة إلى كونها تساعد على الزيادة في مستوى فاعلية انتقال أثر التدريب والتعلم وتؤهل الطفل إلى تحديد اهتماماته وميوله العلمية بطريقة وظيفية حيث أن توظيف المعلومات يتطلب توظيف المفاهيم أثناء تفسير المثيرات البيئية وفهمها نظرا لكونها تزود الطفل بحقائق تساعد على الإدراك والتصنيف والتمييز. إن فهم كيفية نمو المفاهيم وتطورها عند الأطفال يسمح بإعداد برامج تعليمية ناجحة وضبط أساليبها بشكل جيد، لهذا يُعَدُّ اكتساب المفاهيم جوهر عمليتي التعلم والتعليم لأنها تساعد على التغلب على بعض صعوبات التدريس.

1-1 تعريف المفهوم

تعد المفاهيم صنفا من المثيرات المشتركة بخصائصها الجوهرية وإن اختلفت فيما بينها بشكل ملحوظ (Janet)، يعني أنه صنف من المثيرات التي يمكن أن تكوّن مجموعة أشياء أو حوادث أو أشخاص تشترك معا بخصائص عامة ويشار إليها باسم خاص (ديسيسكو).

يعرف Bruner المفاهيم بأنها عبارة عن مجموعة من المصطلحات التي يستخدمها العالم في عمله أو الباحث في بحثه كعناوين يشير كل منها إلى مجموعة

من الحوادث أو الظواهر أو العلاقات الواقعة ضمن مجال بحثه، إذن المفهوم عبارة عن فكرة تمثل عددا من العناصر تشترك كلها في أمر ما (مثال: أسد هو مفهوم عام يشير إلى حيوان).

يتضمن المفهوم مجموعة من المعايير هي:

أن يكون مصطلحا أو رمزا له دلالة لفظية ويمكن تعريفه.

أن يكون تجريدا للخصائص المشتركة لمجموعة من الأشياء.

أن يتسم بالشمول لأنه يشير إلى المواقف أو السمات التي تتضمنها مجموعة من الأشياء.

نستنتج أنه لا يمكن تحديد المفاهيم من حيث الصفات التي تتدخل في تكوينها، ويوجد العديد من الاقترانات بين الصفات، فيمكن تصنيف مثلا الأشخاص حسب العمر أو الوزن أو المهنة أو الجنس وغيرها من الصفات.

لقد تم تقسيم المفاهيم إلى عدة أقسام حيث اختلف الباحثون حول طبيعتها، فإذا كان بياجيه قسم المفاهيم إلى تلقائية وأخرى علمية، فإن Bruner يرى أنها تنقسم إلى ثلاثة أقسام، هناك مفهوم موصل أو رابط أو موحد وآخر غير رابط وثالث علائقي.

2- أنواع المفاهيم

لقد تم تقسيم المفاهيم إلى عدة أقسام حيث اختلف الباحثون حول طبيعتها، فإذا كان بياجيه قسم المفاهيم إلى تلقائية يكتسبها الفرد من خلال تفاعله مع البيئة الخارجية معتمدا على خبراته الحسية المباشرة، وعلمية تشرف المدرسة على تعليمها، فإن برونر Bruner يرى أنها تنقسم إلى ثلاثة أقسام: مفهوم موصل/ رابط/ موحّد يضم مجموعة السمات المشتركة بين الأشياء والمواقف، ومفهوم غير رابط يضم مجموعة السمات أو

الخصائص المتباينة بين العناصر والأشياء أو المواقف، ومفهوم علائقي يضم مجموعة السمات أو الخصائص المشتركة المتباينة بين العناصر والأشياء أو المواقف.

3- إدراك المفهوم

جاء تناول إدراك المفاهيم من قبل علماء النفس متأخرا، لم يظهر إلا خلال الستينات من القرن الماضي مع Nelson وRosch وBruner على الرغم من وجود دراسات Piaget التي أشارت إلى ذلك منذ الثلاثينات.

يرى Nelson أن المفهوم هو "معلومة منظمة غير تابعة مباشرة للمدى الإدراكي وقابلة للتسمية"، أي أن المفهوم يشكل مجموعة من الخصائص الثابتة التي تميز موضوعا عن الآخر والمجردة التي ترتبط بكلمة معينة. مثال: طائر، هو حيوان له منقار وجناحين ويطير، وبالتالي تعد هذه الخصائص كافية لتعريف "طائر" لأنها خصائص ثابتة من جهة ومجردة من جهة ثانية يشترك فيها باقي الطيور الأخرى مثل الببغاء والعصفور والنسر والصقر...

تتعلق المفاهيم بالأشياء والأحداث والأفعال وحتى بالعلاقات، وتعد هذه الأخيرة الأصعب في تكونها وتعلمها لأنها لا تعرف بخصائص ثابتة وإنما من خلال علاقتها مع مفاهيم أخرى، وهذا ما يضفي عليها طابع التجريد والتعقيد أكثر من غيرها ويقربها من المفاهيم العلمية مثل السرعة والطاقة والزمان والمكان.

تتميز المفاهيم عن المعرفة العلمية أو القوانين بمجموعة من الخصائص أهمها خاصية الثبات حيث أن المعرفة العلمية قابلة للتعديل والتغيير بسرعة أكبر مقارنة مع المفهوم، لكن ينبغي أن لا ننكر هنا دور المفاهيم التي تؤدي دورا هاما في الربط بين الحقائق العلمية ومن دونها لا نستطيع فهم العلم وإدراك ماهيته.

يعد إدراك المفهوم نشاطا عقليا يتمثل في قدرة الفرد على إصدار استجابة واحدة لمجموعة من المثيرات التي لها خصائص مشتركة ومتشابهة، وهو يتضمن عمليتين أساسيتين هما: التمييز والتعميم.

يتضمن إدراك المفهوم أي نشاط يؤدي إلى تصنيف حوادث أو مثيرات متباينة جزئيا في صنف واحد حسب قاعدة معرفية أو ذهنية يستخدمها الفرد في تحديد صفة معينة.

يتراوح إدراك المفاهيم من البسيط إلى المعقد، فبعضها أسهل تعلما وإدراكا مثل الأشياء العينية (أشجار، وجوه، أشكال...) وبعضها يتطلب جهدا معرفيا نظرا لكونها أكثر تجريدا (مثل المساواة، الحرية، العدالة، الرحمة...).

يتطلب إدراك المفهوم أن يحدد الفرد العلاقات بين المثيرات، ولكي يتمكن الفرد من إدراك هذه العلاقات ينبغي أن يوحي كل مثير في مجموعة من المثيرات إلى نفس الصفة (رؤية مثلث أزرق اللون ومربع أزرق اللون يجعلنا نفكر حتما في الصفة التي تجمع كلا المثيرين وهي اللون "الأزرق"، كذلك أن يصنف الطفل مجموعة من الحيوانات بأنها كلاب لا بد أن يكون قد تعلم التمييز بينها والتعرف على أسمائها "كلب السلوقي، البوليسي، الراعي، كلب الحراسة..."). يتأثر الإدراك بعوامل خاصة بالموضوع المُدرَك وظروفه العامة، كما يتأثر بعوامل أخرى تتعلق بالشخص المُدرِك. هذه العوامل هي:

- **الأعضاء الحسية** حيث تشكل قنوات تمر من خلالها الخبرات عن طريق الدماغ، فالشخص المصاب في إحدى حواسه سيؤثر ذلك على اكتساب المفهوم (الإصابة بعمى الألوان مثلا).

- **الذكاء** وهو يؤدي دورا أساسيا في عملية اكتساب المفاهيم.

- **فرص التعلم**، وذلك إذا كان التعلم هو تراكم للخبرات فإن فرص التعلم /التعليم المختلفة تساهم في بناء المفاهيم حيث كلما تنوعت هذه الفرص كلما اكتسب الفرد مفاهيم غنية.
- **نوع الخبرة**، إن تنوع الخبرة يؤثر في غنى المفاهيم المدركة.
- **الجنس**، وهنا يتعلق الأمر بالنمط أو الأسلوب الذي ينتهجه الفرد حسب جنسه ومن ثمة يؤثر في الدور الذي يؤديه.

يرتبط المفهوم بالتمثل بشكل وطيد وذلك من حيث أن العقل البشري غير قادر على تحديد المفاهيم (المدركات) التي ليست لها علاقة مع تمثلاته الذهنية، فنحن لا يمكننا التعرف إلى شيء أو موضوع أو حيوان غير معروف أو قراءة كلمة مجهولة أو أي معلومة ليس لها مرجعية على مستوى الذهن ولا تحيل إلى أي تمثل ذهني.

تتدخل التمثلات الذهنية في التعرف إلى الصور الغامضة ولكن يحاول الفرد في مثل هذه الوضعية اللجوء إلى توليف/ تركيب صور يمكن تفسيرها أو تأويلها بطريقتين مختلفتين (لوحات الروشاخ مثلا) عند استخدام الرؤية الجانبية vu de profil أو عند استخدام المشهد/ المظهر الأمامي vu de face، وتجدر الإشارة هنا أنه عندما نجهل الأمر فإننا لا نستطيع أن نفسر أو نؤول انطلاقا من الغموض، ويفسر هذا الاستخدام الحتمي للتمثلات الذهنية الصعوبات التي نواجهها في الرسوم/ الصور التي يكون فيها البحث عن التناقض (صورة فيل مثلا).

تشكل الأحداث/ الذكريات التي يعيشها الفرد دعامة لتَجَمُّع الخلايا العصبية ونشاطا لمناطق من المخ/ الدماغ zones cérébrales عند استثارتها، مثلا الحديث عن "برتقالة" إنه يشمل عناصر حركية وذوقية وبصرية (الشكل واللون...) أيضا المرح والمتعة...